

يقدم معرض **لقاءات في درب الذهب** لقاءات بين الديانات والثقافات في غرب أفريقيا والدين الإسلامي، ويفتح لنا شباكًا على تلك الثقافات الغنية المثيرة. تُعرض في هذا المعرض أغراضًا تحكي قصة مسار تجارة الذهب الذي وصل الإسلام عن طريقه إلى غرب أفريقيا، مسار يربط بين الديانات والفنون. وصل الإسلام إلى غرب أفريقيا في جنوب الصحراء الكبرى، منطقة بلاد السودان، عن طريق التجار المسلمين من شمال أفريقيا الذين ساروا مع قوافل الجمال طريق الدرب التجاري في الصحراء الكبرى، ومن هناك واصل الإسلام انتشاره البطيء. السلع الرئيسية للتجارة عابرة الصحراء الكبرى بين دول غرب أفريقيا والبلدان الإسلامية كانت الذهب والملح. كانت الدول الإسلامية بحاجة إلى الذهب لصك القطع النقدية، ومقابل ذلك كانوا يصدرون الملح الذي يحتاجونه في الصحراء الكبرى لحفظ اللحوم، والغذاء، وإنتاج المصنوعة من الذهب تعود أصولها إلى غرب أفريقيا.



تصوير: كلارا عميت © سلطة الآثار

كنز ذهب فاطمي، قيساريا، نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر

من الناحية الجيوسياسية، فإن القارة الأفريقية عامة وغربها بشكل خاص، كانت مؤلفة من مجموعات عرقية بدون أطر سياسية ثابتة وبعض الممالك الرئيسية التي سيطرت على الدرب التجاري. منذ القرن الثامن أدرك حكام تلك الإمبراطوريات أن تبني التقاليد الإسلامية وترسيخ علاقاتهم مع الشبكات الإسلامية التجارية، فسوف يعزز من قوتهم وثروتهم. لقد كان الإسلام بالنسبة لهم بطاقة لدخول العالم الثقافي والتجاري في الشرق الأوسط. مع ذلك، كانوا يسيرون بين النقاط، فقد تصرفوا كمسلمين في حالات معينة وكوثنيين في حالات أخرى، وذلك من أجل إرضاء الأغلبية الوثنية والأقلية الإسلامية على حد سواء. وقد منحوا رعايتهم للفقهاء المسلمين، الذين انخرطوا في وظائف حكومية، وفي الوقت نفسه ووفق الحاجة كانوا يتوجهون إلى رجال الدين التقليديين، ويمارسون الطقوس الدينية للحفاظ على ولاء رعاياهم. تشكلت الديانات التقليدية في غرب أفريقيا وتطورت منفصلة

عن بعضها، لكنها كانت تشترك ببعض الخصائص الإحيائية: إله خالق واحد وأرواح تمثل روح الطبيعة والوجود المكوّن من الحي والجماد. وفي الطقوس المجتمعية هناك كانت القيادات الروحانية تنقل القيم التربوية من جيل إلى جيل، وتعمل على ربط أبناء المجتمع بأصولهم بواسطة قصص عن شخصيات ميثولوجية، وحيوانات أسطورية، وقصص عن الخليفة وأساطير منذ تأسيس تلك المجتمعات. الأقمعة وأغطية الرأس، أغراض طقوسية ذات طابع سحري كانت مكوّنًا رئيسيًا في طقوس والعبادات. استخدمت هذه الأغراض كوسيط مع طاقة أرواح الكون للآباء المؤسسين للمجتمع. وقد استخدمت خلال الطقوس المتعلقة بجميع نواحي الحياة، مثل الأعراس، الجنازات، المناسبات الزراعية وفي مراسم البلوغ. كانت تقام الطقوس بمرافقة العزف والغناء، وبعض الراقصين الذين يضعون الأقمعة.



تصوير: © متحف إسرائيل، القدس

وعاء لغبار الذهب مع غطاء، غانا، ساحل العاج، القرن السابع عشر حتى التاسع عشر

خلال الطقوس كان الراقصون يختبرون حالة من النشوة العميقة التي تتيح لهم التواصل مع أرواح الكون. يضم هذا المعرض مجموعة مختارة من الأقمعة وأغطية الرأس، أغراض طقوسية ذات طابع سحري كانت جزءًا من الحياة الروحية لعدة مجموعات عرقية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. رغم أن معظم الأغراض مؤرخة من القرنين التاسع عشر والعشرين، فهي تمثل تقاليد محلية طويلة الأمد.

إحدى الثقافات التي كانت معزولة عن جماعات السكان في قلب اليابسة بسبب صعوبة الوصول ونجحت بالحفاظ على أسس ثقافتها ومعتقداتها المجتمعية، هي ثقافة أبناء الجريبو الذين يعيشون اليوم في ليبيريا وفي ساحل العاج. يعبد أبناء الجريبو الإله نيسوا،

لكن الطقوس بمعظمها تركز لعبادة الأرواح، وقوى الطبيعة مثل الصخور، وشلالات المياه وأرواح آباء المجتمع. على غرار مجموعات أخرى في غرب أفريقيا، ينتمي أبناء الجريبو إلى رابطتين أساسيتين: رابطة النساء وربطة الرجال. وهي المسؤولة عن طقوس التنشئة والنظام الداخلي للمجتمع. الأقمعة المشاركة في هذا المعرض هي نموذج لأقمعة طقوس أبناء الجريبو والتي تمثل الثقافة المحلية التي لم تتأثر بالتقاليد الإسلامية. أقمعة أبناء الجريبو مصبوعة بالألوان ومرمّنة بالخرز، الصدف، المعدن والمسامير، وهي مواد تزيد من قوة الأقمعة وقيمتها. من المعروف أن سلسلة أعمال فابلو بيكاسو الغيثارة (1912-1014)، متأثرة من قناع أبناء الجريبو الذي تضمن تصميم العيون، وكان معلقًا في غرفة طعام الفتان.



تصوير: دوريان غاوليب، مقتنيات دينا وميخائيل فاس للثقافة الأفريقية

قناع حماية، ليبيريا، 1957

ثقافة أخرى تشارك في هذا المعرض هي ثقافة أبناء البجا الذي يعيشون غرب جمهورية غينيا المسماة غينيا كوناكري على اسم عاصمتها. حافظ أبناء البجا على تقاليدهم وعاداتهم، حتى بعد اعتناق غالبيتهم إلى الإسلام في القرن الثامن عشر على يد واعظين مسلمين، وبعد وفود الكولونيين الكاثوليك من فرنسا في القرن التاسع عشر. أبناء البجا، مثل أبناء مجموعات أخرى هناك، أعضاء في رابطتين، رابطة النساء وربطة الرجال. وهي المسؤولة عن النظام الداخلي في المجتمع من النواحي الدينية، والسياسية والتربوية على حد سواء. وفق المعتقدات الدينية لأبناء البجا فهم يؤمنون بالإله كانوا الخالق، وثلاثة آباء المجتمع. لكل مجموعة من أبناء البجا أرواح وقوى ترافقهم، تحرسهم وتساعدهم، ومن خلال الفصل بين رابطة النساء وربطة الرجال. إضافة إلى ذلك، فإن الكيانات العجيبة تنقسم بين المجموعات العمرية في المجتمع وتساعدهم بالحفاظ على النظام الاجتماعي التراتبي بين الكبار والشبان. في هذا المعرض قناع "نيمبا"، والذي يعتبر أحد الأقمعة الأكثر شهرة بين أبنا البجا. الكيان النسائي "نيمبا" يرمز في ديانة البجا إلى المثل العليا للقوة النسائية، ورمزًا لولادة الثقافة، وكذلك إلى مثل السلام والكرم كعناصر توحد مجموعات البجا. العنصران الرئيسيان اللذين يمثلان النيمبا والتي ترمز إلى الخصوبة والازدهار، هي تصميم الثديين والخطوط الخطية على طول الوجه والرأس. تم ارتداء قناع الرأس. يوضع قناع النيمبا على أكتاف الشخص الذي يرقص خلال الاحتفالات الطقسية لضمان الخصوبة والوفرة. اكتسب القناع شهرة عالمية عندما عُرض في المتاحف وكان مصدر إلهام للفتانين المشهورين هناك.

أيضًا في ثقافة أبناء البامانا الذين يعيشون في مالي، يجري الحفاظ على النظام الداخلي بواسطة رابطة تنشئة. ينتمي أبناء البامانا إلى مجموعة أكبر من شعب الميندي وتعود جذورهم إلى الممالك القديمة في غرب أفريقيا. في الماضي كان على الأبناء الانتماء إلى ستة روابط تنشئة، وتسمى كلها باسم جو (jow) من أجل البدء بحياتهم كبالغين والتزوج. لكل رابطة كانت أقمعة خاصة بها. تشارك في هذا المعرض زينة غطاءات رأس لرابطة تشي وارا (Chi wara). كلمة تشي وارا في لغة البامانا تعني "حيوان كادح"، وتمثل أسطورة ولادة الزراعة. حسب الرواية الميثولوجية فإن البطل تشي وارا نصفه طبي ونصفه إنسان، وقد جاء تشي وارا إلى العالم كي يعلم البشر زراعة المحاصيل ولذلك يتم تكريمه عبر الطقوس خلال موسمي الزرع والحصاد. في هذه الطقوس يتم استخدام زينة غطاء الرأس المنحوت من الخشب على شكل طبي يدعى تشي وارا، رمزًا للبطل الأسطوري (في الصورة في الصفحة القادمة).

# مفترسيه בדרך הזהב لقاءات في درب الذهب Gold Road Encounters



تصوير: إيلي فونتر © متحف إسرائيل، القدس

تصوير: فلاديمير نيخين، مقتنيات عائلة رواس

الصيد، وذلك كي تشكل تل الثياب درعًا يحمي الصياد من الحيوانات المفترسة والأرواح الشريرة. فكانوا يضعون التماثم المختلفة على الثياب، مثل المرايا، القرون، المجوهرات، وكذلك تماثم مصنوعة من الجلد وتحتوي على آيات قرآنية. استخدام الآيات القرآنية كجزء من التماثم التي تغطي الثياب التقليدية يبين كيف تم دمج التقاليد الشعبية الإسلامية بالطقوس التقليدية.



ثوب تميمة للصيادين، مالي، بداية القرن العشرين

إضافة إلى ما ذكر، يعرض في هذا المعرض نسخ عن القرآن وتماثم إسلامية من الطريق التجاري عابر الصحراء الكبرى بين دول غرب أفريقيا والدول الإسلامية. هذه الأغراض هي جزء من الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية هناك.



صندوق للقرآن، الصحراء الكبرى، القرن التاسع عشر

يشكل معرض لقاءات في درب الذهب فرصة فريدة لاكتشاف الجمهور الواسع على غرب أفريقيا، الحيز الجغرافي غير المعروف وصاحب التاريخ الغني، والتنوع الكبير للثقافات والديانات.

## لقاءات في درب الذهب

اب 2021 – تموز 2022، متحف الحضارة الإسلامية والمشرق، بئر السبع  
المدير: السيد عودد شهم، القيمة: د. شارون ليثور سيرك، تصميم المعرض: ميخائيل فايس، تصميم النشرة: يوسي جيري، تصوير الصفحة الخارجية: دوريان غوتليب، ترجمة وتحرير: نواف عثمانة  
استشارة خزانة المعارض: د روبرت كول

تصوير: دوريان غوتليب، مقتنيات دينا وميخائيل فايس للفنون الأفريقية



زينة للرأس، سيبودل، غانيا، 1970-1960

نموذج آخر لاستخدام فن الخط الإسلامي نجدها في أقنعة الخوذة (soweï) لرابطة النساء ساندي لأبناء الميندي. اللقاء الأول بين أبناء الميندي في سيراليون وليبيريا مع الإسلام كان مع كتبه التماثم المسلمين الذين مروا هناك ونالوا التقدير بفضل تلك التماثم وما لها من قوة. تم إضافة التماثم الإسلامية لأقنعة رابطة نساء أبناء الميندي والتي نقشت على الجزء الأعلى من القناع. تتضمن التماثم آيات قرآنية بخط عربي كتبت بيد مسلمين للحماية من الأرواح الشريرة. الآيات القرآنية تكون داخل حقيبة يد من قماش أو جلد مزخرفة، أو داخل علبة فضة ثمينة جدًا. توضع

التماثم عادة حول العنق، ولكن في فترات سابقة كانت نساء الميندي تضعها على الشعر، ولذلك فإن وضعها على القناع يلائم استخدامها في الواقع.

أقنعة سوي لرابطة النساء ساندا، سييرا ليون، منتصف القرن العشرين



تصوير: دوريان غوتليب، مقتنيات دينا وميخائيل فايس للفنون الأفريقية

كذلك فإن أبناء الدوجون الذين يعيشون في مالي وفي بوركينا فاسو دمجوا خصائص إسلامية في تقاليدهم المحلية. كان أبناء الدوجون يقيمون الطقوس ويلبسون ثياب خاصة قبل خروجهم إلى

تصوير: دوريان غوتليب، مقتنيات دينا وميخائيل فايس للفنون الأفريقية



قناع تشي وارا، مالي، 1920

إلى جانب المعروضات التي تعكس الحياة الدينية والثقافة لدى أبناء غرب أفريقيا، يشمل المعرض معروضات تعكس تغلغل الدين الإسلامي إلى الحياة الروحية للمجموعات العرقية المختلفة.

على سبيل المثال، أبناء البجا من غينيا كوناكري يستخدمون في طقوسهم التقليدية زينة رأس على شكل علبة تسمى سيوندل. في ستينيات القرن العشرين جرى إضافة فن الخط العربي الإسلامي إلى زينة الرأس التقليدية الخلفي من العلبة ذيلًا يرمز إلى البراق، الحيوان العجيب الطائر على شكل حصان أو حصان مُجْتَح، الذي حمل النبي محمد من مكة إلى الأقصى. تتكاتب إضافة الخط العربي الإسلامي مع تاريخ غينيا. ففي العام 1958 حصلت غينيا على استقلالها من فرنسا، وبتأسيسها نظام حكم إسلامي ماركسي. في هذه الحالة تمثل زينة الرأس التغيير السياسي والنظامي الذي حدث هناك، وتبين كيف يتغلغل الدين الإسلامي إلى التقاليد المحلية في غرب أفريقيا عامة وفي غينيا خاصة.